

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 5 - سورة الطلاق - تفسير الآية 12 ، التوبة قبل فوات الأوان.

01-12-1997

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الأخيرة من سورة الطلاق، وهي قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (12)

أيها الأخوة:

هذه الآية خطيرة جداً، لأنها تبين للإنسان علة وجوده على وجه الأرض وعلّة خلق السماوات والأرض، لماذا خلق الله السماوات والأرض؟ ولماذا خلق الإنسان؟

قال:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾

وبعضهم قال سبعة للتكثير، لا للكم، للتكثير، رقم سبعة في اللغة العربية يفيد التكثير، عشرات، بل مئات الطبقات.

﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾

والأرض طبقات، القشرة، الطبقة البازلتية، الخ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾

الأمر بيد الله، هو المتصرف.

﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾

(سورة الزخرف: 84)

﴿ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا﴾

(سورة الكهف: 26)

﴿له الخلق والأمر﴾

(سورة الأعراف: 54)

﴿ خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾

(سورة الزمر: 62)

﴿ وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾

(سورة هود: 123)

هذا الإيمان، الإيمان ألا ترى مع الله أحد، ألا ترى معطياً ولا مانعاً، ولا رافعاً، ولا خافضاً، ولا معزاً، ولا مذلاً، ولا مسعداً ولا مشقياً، والشرك أن ترى مع الله أحد.

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾

هنا

﴿ لَتَعْلَمُوا ﴾

علة خلق السماوات والأرض أن تعلموا، فالذي لا يعلم عطل الحكمة من خلق السماوات والأرض، والذي لا يعلم ألغى وجوده الإنساني، وبقي له وجوده الحيواني، كائن يأكل، يشرب، يتنفس ينام، يتوالد، يعمل، يكسب المال، هذا وجود حيواني، والدابة تأكل وتشرب، وتتنفس، وتنام، وتعمل، أبدأ، الدواب تأكل، وتشرب وتتنفس، وتنام، وتتزوج، وتتجب، وتعمل، صح ؟ فالذي لا يعلم ألغى وجوده الإنساني، وبقي على وجوده الحيواني.

﴿ أموات غير أحياء ﴾

(سورة النحل: 21)

﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾

(سورة الفرقان: 44)

﴿ فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾

(سورة الأعراف: 176)

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾

(سورة الجمعة: 5)

آيات قرآنية كلها، كالأنعام، كالكلب، كالحمار، فالذي لا يعلم، الذي لا يطلب العلم، الذي لا يدري لما خلقه الله عز وجل ألغى وجوده الإنساني، وبقي على وجوده الحيواني.

﴿ أموات غير أحياء ﴾

﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾

(سورة المنافقون: 4)

أبلغ، الحيوان على شيءٍ من الإدراك، هلق الدابة إن رأت حفرة تحيد عنها، إن رأت ناراً تتبعد عنها، أما الخشب ما في إدراك.

﴿ كَانَهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾

خشب، وأنعام، وكلاب، وحمير، حينما لا تطلب العلم، ولا تعرف لماذا خلقت، ولا تبحث عن منهج تسير عليه، ولا تبحث لهدف سامي ترقى إليه حينما تكثفي بالطعام، والشراب، والتنفس، والنوم والتزواج، والإنجاب والعمل، والاستغراق بمتع الدنيا، هذا وجود حيواني.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

هي اللام لام التعليل، معنى التعليل يعني لام العلة، معنى العلة السبب.

واحد سافر إلى فرنسا، سأله ما علة وجودك في هذا البلد؟ يقول للدراسة، أتيتها لأدرس، نسأل آخر، ما علة وجودك في هذا البلد؟ يقول للتجارة، نسأل ثالث، ما علة وجودك في هذا البلد؟ يقول للسياحة، في سفر سياحي، في سفر تجاري، في سفر تعليمي، إذاً علة وجودك على وجه الأرض أن تعرف الله. لذلك أول آية في كتاب الله.

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

(سورة العلق: 1)

اقرأ، فكل إنسان بقلك أنا مالي فاضي أحضر مجلس علم مشاي، حينما لا تجد وقتاً لطلب العلم، ألغيت وجودك الإنساني، في بالإنسان حاجة عليا، في حاجات سفلى، أن يقترن بامرأة يشبع منها رغبته، هي حاجة دنيا، أن يأكل بنهم هي حاجة دنيا، أن يشرب حاجة دنيا، أما أن يتعلم حاجة عليا، فالذي ليس له حاجات عليا تسمو به بقي على وجوده الحيواني.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

هذا المعنى الدقيق للآية هذا معنى يسمونه، معنى لازم هلق واحد قال لك إذا خالفت المخالفة الفلانية من نتائجه مصادرة المركبة، بلاغ واضح، مصادرة غير حجزها، الحجز شيء والمصادرة شيء ثاني، فيجب أن تفهم القرآن فهم دقيق.

هنا:

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) ﴾

الله عز وجل له مائة أسم، له مائة أسم، لماذا أختار من بين أسمائه أسمين فقط؟

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) ﴾

أختار أسم القدير، وأسم العليم، اسمع هذا الكلام، أنت لست مع الله، مع إنسان عادي لكنه أقوى منك، إذا كان علمه يطولك وقدرته تطولك، لا يمكن أن تعصيه، لا يمكن أن تعصيه.

مثل:

راكب مركبة، الإشارة حمراء، واقف الشرطي، وسيارة ودراجات نارية، وأنت مواطن عادي، ما لك ميزة، ممكن تتجاوز؟ والقانون واضح، حجز المركبة، وأيام في اعتقال، لماذا تلتزم؟ لأنه الذي وضع هذا القانون وزير الداخلية، علمه يطولك من خلال الشرطي، قدرته تطولك من خلال السيارة يلاحقوك، علمه يطولك وقدرته تطولك، متى يمكن أن تخالف؟ الساعة الثلاث بالليل، شرطي ما في لأنه، أو إذا كنت أقوى من الذي وضع القانون، ما بترد عليه بحالتين، أما إذا أنت إنسان عادي، والإشارة حمراء، والشرطي واقف لا يمكن تخالف، أنت مع إنسان هكذا، فكيف مع الواحد الديان مع إنسان من بني جنسك، من جلدك، أقوى منك لكن، علمه يطولك وقدرته تطولك.

فربنا عز وجل أختار من أسمائه كلها أسمين، العليم والقدير إذا أيقنت أن الله يعلم وقادر أن يحاسب، وسيحاسب، لا يمكن أن تعصيه، والذي يعصي الله في عنده خلل في إدراكه، خلل كبير بإدراكه، يعلم وسيحاسب، لو أنك اكتفيت من كل أسماء الله الحسنى باسم العليم القدير، لا يمكن أن تعصي الجليل، أبداً، قلت أنا خطيرة هذه الآية، هذه آية الاستقامة.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) ﴾

يعلم وسيحاسب.

لذلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول:

يا نفس لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها، لا شك أنك تمتنعين، أياكون الطبيب أصدق عندك من الله، طبيب قال لك هالبيت ما يناسبك ثاني يوم تعرضه للبيع، معك قلب لا سمح الله، هذا أربع طوابق، لا يناسبك، أياكون الطبيب أصدق عندك من الله، إذاً فما أكفرك، أياكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله، إذاً فما أجهلك الإنسان حينما يعصي مدموغ بالجهل والكفر. تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال بديع لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول؟ " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم

﴿ لذكر الله وما نزل من الحق ﴾

(سورة الحديد: 16)

ألم يأن أن تصطلح مع الله، ألم يأن أن تتصل بالله، ألم يأن أن تراجع حساباتك، ألم يأن أن تزيل المنكرات من بيتك، ألم يأن أن تستقيم في معاملاتك إلى متى، وملك الموت يخطف أرواح الناس بلا قاعدة، شاب يموت في الخامسة والعشرين بجلطة، من منا يملك أن يعيش ساعة واحدة، أنا أذكر هذا كثيراً.

التقيت مع مدير مدرسة حدثني عن عشرين سنة قادمة، سيسافر إلى البلد الفلاني والفلاني، خمس سنوات إعاره، وسنة بإيطاليا وسنة بفرنسا، وسنة بإنجلترا، وسنة ببريطانيا، وسنة بدو من البلاد ومن أحوال البلاد، ومتاحف البلاد، وريفها، ومدينتها، وبعدين بيرجع يشتري محل يبيع فيه تحف هذه مالها إشكالات، ما لها تسعيرة ما لها تلف مثلاً، كبرو أولاده، والله الذي لا إله إلا هو في اليوم نفسه توفاه الله، قرأت نعوته مساءً، وقد حدثني صباحاً.

كنت في العمرة لي صديق هناك ذكر لي أن بدوياً يملك أرض في شمال جدة، فلما توسعت جدة نحو الشمال أصبح لهذه الأرض قيمة فجاء مكتب عقاري مؤلف من ثلاث شركاء واشتراها منه بربع قيمتها احتالوا عليه، وأنشأوا بناية عالية جداً اثنى عشر طابق، أول شريك وقع من الطابق الأعلى فنزل ميتاً، والثاني مات في حادث، أدرك الثالث أنه في خطأ كبير بشراء الأرض، فبحث عن صاحب الأرض ستة أشهر إلى أن التقى به، ونقده فرق الثمن، فقال له البدوي ترى أنت لحقت حالك.

يا أخوان لحقوا حالكم، ما دام في قلب ينبض لحق حالك الباب مفتوح باب التوبة مفتوح.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا وأثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..